الفسفور الابيض سلاح تستخدمه اسرائيل في حرق البشر وتدمير البيئة في غزة

جمعية البيئة الاردنية

م. احمد الكوفحي/ المدير التنفيذي

ما هو الفسفور الابيض؟

الفسفور معناه "التوهج" والفسفورالابيض عبارة عن مادة بيضاء شبه شفافة مائلة للاصفرار يوجد في الحالة الصلبة يشبه الشمع، وله رائحة كريهة تشبه رائحة الثوم الفاسد ويستخرج ويصنع من الفوسفات.

يتميز النوع المستعمل في الاغراض العسكرية بشدة نشاطه كيماويا بتفاعله مع الهواء الجوي (الاكسجين) حيث يشتعل ويتأكسد بشكل سريع جدا ويتحول الى خامس اكسيد الفسفور ويولد هذا التفاعل الكيميائي حرارة الى حد ان العنصر ينفجر من شدتها، ليعطي لهبا أصفر اللون ودخانا كثيفا ابيض ويصبح الفسفور الابيض مضيئا في الظلام ويستمر هذا التفاعل الكيميائي حتى استهلاك كامل المادة او حرمانها من الاوكسجين. لذلك يستعمل الفسفور الابيض لاغراض عدة مثل اصدار دخان كثيف لصنع ستار دخاني يحجب روؤية تحركات القوات، اضافة الى قدرته على الاشتعال كمادة حارقة يصعب اخماد نيرانها، ناهيك عن قدرته على ابادة الطرف المقابل وتدمير معداته وبنوع خاص ضد المركبات واماكن تخزين النفط والزيوت ومواد التشحيم والذخائر وله تاثيرحارق يمكن ان يحرق بشدة البشر ويدمر والمنشلآت المدنية مسببا انفجارات كبيرة باصوات مرعبة للسكان نتيجة تفاعله مع الهواء. ويلاحظ بان هذه القنابل عندما تطلق في سماء غزة تبدو بانها العاب نارية. ومن الجدير بالذكر بان كميات قليلة من هذه المادة كانت تستخدم كاقوى المبيدات الحشرية فتكا بالآفات الزراعية والحشرات.

وبناءا على بعض الوكالات الاجنبية فقد التقطت الاقمار الاصطناعية كميات كبيرة من قذائف الفسفور الابيض عند الحدود الاسرائيلية مع غزة وذلك عشية الهجوم البري عليها وهذه القذائف من عيار 155 ملم صناعة امريكية مطورة وتحت العلامة M825A1 وهذا العيار كما اسلفنا ينشطر الى زخات من الشظايا الفسفورية المحترقة نتيجة الاحتكاك بالهواء

وقد استخدمته الولاياتت في العراق واسرائيل في حرب تموز عام 2006 والان في العدوان على المدنيين في غزة بالرغم من ان الولايات المتحدة من المشاركين في اتفاقية عام 1980 التى تحرم استخدام الفسفور الابيض كسلاح حارق ضد السكان المدنيين او حتى ضد الاعداء في المناطق التى يقطن بها مدنيين. وبجانب استخدامه في العمليات العسكرية في الذخيرة واخفاء تحركات الجيش والاهداف المهمة، يستخدم ايضا لانتاج الاحماض الفسفورية وبعض الكيماويات الاخرى.

ووصف أحد الجنود الأمريكيين المشاركين في الهجوم على الفلوجة الفسفور الابيض واثره على المدنيين من اهالى الفلوجة فقال" الفسفور الابيض يحرق الاجساد، بل في الواقع يذيب اللحم حتى ينكشف العظم. رأيت جثثا محترقة لنساء واطفال.الفسفور ينفجر ويولد سحابة من الدخان".

كيف تعمل قذائف الفسفور؟

عندما تسقط قذيفة الفسفور الابيض على الارض تنشطر الى حوالي 100 قذيفة اخرى تغطي مساحة شاسعة من الارض وتقوم القذائف بحرق كل شيء تلامسه على الارض من مدنيين ونبات وممتلكات وبنية تحتية ولا تتوقف عن احراقه حتى تستهلك مادة الفسفور الابيض المشتعل مسببة تدمير مساحة قد يصل قطرها 250 متر.

تدمير البيئة

وفى حال تعرض منطقة ما بالتلوث بالفسفور الابيض يؤثر على عناصر البيئة كافة من ماء وهواء وتراب وكائنات فالهواء سيكون ملوثا الغازات الناجمة عن احتراق الفسفور وهي غازات خطيرة وسامة تؤدي الى اضرار صحية لها علاقة بالجهاز التنفسي والعصبي والامراض المرتبطة بهما وخاصة عند الاطفال والشيوخ من المدنيين ، كما تجعل الهواء الجوي ملوثا ولا يصلح للعيش تترسب هذه المواد في التربة او قاع الانهار والبحار او حتى على اجسام الاسماك والتي تشكل مصدرا هاما للغذاء في غزة ونتيجة لذلك قد يتعرض الانسان للضرر نتيجة اكله اسماك مترسب عليها الفسفور الابيض او السباحة في المياه الملوثة به، او لمس تربة مترسب عليها الفسفور الابيض. اما بالنسبة للتنوع الحيوي فيؤدي انتشار هذاه المادة واحتراقها الى تدمير النظام البيئي الطبيعي من حيوانات ونباتات وتلويث المنتوجات الزراعية التي يتم فيما بعد تناولها عن طريق السلسلة الغذائية.

الاضرار الصحية القاتلة

ان زخات الشظايا المنهمرة تدمر كل شيء تلتصق به من احياء وجماد، وعند تعرض الانسان له مباشرة يحترق الجلد بشكل كامل ولا يتبقى الا العظم ويؤدي الحرق الى موت انسجة الجلد. ويبقى 15 % من الفوسفور الأبيض في القسم المحترق من الجسم المصاب حيث تعود تلك البقايا للاشتعال مجدداً في حال تعرضها للهواء.

والفسفور الابيض مادة تذوب في الدهن بسهولة ولذا تنفذ بالجلد بسهولة وبسرعة فور ملامستها اياة ، وتنتقل عبر اتحادها السريع مع الدهون عبر انسجة الجسم المختلفة ، ويساعد ذلك النفاذ السريع في تأخير شفاء الاصابات ، لذلك كل ما يمكن قوله هو ان الحروق الناجمة عن الفسفور الابيض تشكل قسما فرعيا صغيرا من الحروق الكيميائية والتي تشفى جميعها بشكل متأخر في الاجمال .

اما تنفس الغازات المنبعثة عن تفاعله مع الاوكسجين لفترة طويلة يسبب جروح في الفم وكسر عظمة الفك كما يسبب اضرارا بالغة للكبد والقلب والكلى، وقال احد الاطباء في مستشفيات غزة إن عشرات الإصابات وصلت المستشفى نتيجة استنشاق الغاز غير المعروف حتى الآن، موضحاً أن التشخيص الأولي للحالات يشير إلى أن المواطنين تعرضوا لقنابل الفوسفور الأبيض لافتاً إلى أن الحالات التي وصلت المستشفى مصابة بما يشبه الهستيريا والتشنج وضيق في التنفس وتقلص في العضلات.

وأكد أن عدد من المسعفين الذين توجهوا من أجل إخلاء المصابين تعرضوا للإصابة بالغاز السام أيضاً. ودعا كل من يتعرض لهذا الغاز أن يستخدم قطعة قماشية مبللة لتنقية الهواء والتقليل من آثار الغاز.

الاجراءات الوقائية والاسعافات الاولية

الحبيبات المنصهرة من هذه المادة قد تنغمس في جلد الضحية منتجة حروقاً متعددة وعميقة وبأحجام مختلفة، ومن المهم أن نعلم هنا أن هذه الحبيبات ستستمر في الاشتعال مالم يتم عزلها عن أكسجين الهواء متبعين الطرق التالية كاسعافات اولية:

- غمرالجزء المصاب المحتوي على حبيبات الفسفوربالماء أو عزله عن الهواء باستخدام الوحل أو قماش مبلول. من الضروري جداً في هذه الحالة إبقاء جزيئات الفسفور معزولة عن الهواء طيلة الوقت حتى لا تشتعل وذلك إلى أن تتم إزالتها.
- يمكن إزالة الفسفور الملتصق بالجلد باستخدام سكين أو عصا أو عبر حكها بقطعة قماش مبلولة.
- استخدام الكمامات يساهم في الحماية من دخان الفسفور الأبيض.
- إذا أصابت هذه المادة الملابس، فيجب خلعها بسرعة قبل وصول المادة إلى الجلد.
- عند اندلاع حريق، استخدم رذاذ الماء أو الرمل المبلول ومن الضروري الابتعاد عن المواد سريعة الاشتعال. من الجدير بالذكر أن الفسفور الأبيض قد يعود للاشتعال تلقائياً بعد إطفاء الحريق.

- عند الاستنشاق، محاولة استنشاق الهواء النقي والراحة، وقد يلزم عمل تنفس صناعي ثم المراجعة الطبية بأسرع وقت.
- عند تعرض الجلد، يشطف الجلد بالكثير من الماء، وتزال الملابس المتضررة مع استمرار الشطف بالماء بعد ذلك. ويلزم ارتداء قفازات أو نحوه عند عمل الإسعاف الأولي. والمراجعة الطبية بأسرع وقت.
- عند تعرض العين، الشطف بالكثير من الماء لعدة دقائق، وينصح بإزالة العدسات اللاصقة إن كان بالإمكان القيام بذلك بسهولة. والمراجعة الطبية بأسرع وقت.
- عند ابتلاع المادة، يجب العمل على التقيؤ عمداً (فقط في الشخص الواعي) ويجب ارتداء قفازات عند محاولة التقيء عمداً، وشطف الفم بالماء والراحة. والمراجعة الطبية بأسرع وقت.

قتل المدنيين في غزة بهذا السلاح جرائم حرب

ويتعرض المدنيين في غزة لويلات هذا السلاح من خلال العدوان الذى تشنه اسرائيل على القطاع حيث تم ضبط العديد من الحالات من اطفال وشيوخ ونساء من المدنيين في المستشفيات وقد حرقت هذه المواد اجسادهم وجلودهم او الاختناق من الغازات المنبعثة. وهو ما اعتبر دليلاً على استخدام اسرائيل لهذا السلاح المحرم دوليا. ان استخدامه لقتل المدنيين في غزة وتدمير منشآتهم تعد جريمة حرب حسب المواثيق الدولية .

من جهتها قالت منظمة مراقبة حقوق الانسان العالمية " هيومان رايتس ووتش" ان استخدام القنابل الفسفورية مساو لاستخدام القنابل العنقودية المحرمة دوليا والتي تنشر قنابل صغيرة على امتداد مساحة واسعة.ويشكل استخدامها ضد المدنيين كما هو الحال في غزة جرائم حرب.

وتبقى هذه واحدة من الكثير من الأسلحة المحرمة الكثيرة التي تستخدمها قوات الاحتلال الصهيوني